محكم

"دولة" الرسول:
المؤسسات والهياكل

امحمد جبرون
باحث مغربي

قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

لا نكاد نجد اختلافا بين الباحثين على أنّ أوّل كيان سياسي عرفه التاريخ الإسلامي، كان ذاك الذي أسّسه الرسول (ص) بعد الهجرة بالمدينة، وقاده بنفسه مدة تقرب من عشر سنوات، إلى أن وافته المنيّة عليه السلام سنة 11هـ. وقد كان هذا الكيان الذي نسمّيه الدولة، الوعاء المؤسساتي والإداري لممارسة السلطة السياسية الناشئة حديثا، عقب الموادعة الشهيرة التي أشرف عليها الرسول (ص) بالمدينة بعد نزوله بها، والتي دخل فيها معظم الطيف الاجتماعي المدِيني، وخاصة المسلمين واليهود، والتي اشتهرت بعهد الصحيفة.

وبالرغم من الاتفاق الحاصل بين الباحثين حول وجود الدولة في المجال الإسلامي، في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام، وانحصار الخلاف بينهم في جوانب هامشية لا اعتبار لها تقريبا، فإن تمثلاتهم وأوصافهم لها لا زالت غامضة، أو في أحسن الأحوال يلفّها الضباب،[1] وتعكس بعضا من الأسئلة التالية جوانب من الغموض والعتمة في مفهوم الدولة الإسلامية زمان الرسول صلى الله عليه وسلم:

فعلى سبيل المثال، **مِمَّ كانت تتكون دولة الرسول مؤسساتيا؟ وأين كانت تمارس أشغالها؟ وكيف كانت تدار شؤونها؟ وما هي اختصاصات ومهام قادتها وأمرائها؟ وما هي طبيعة هذه الدولة انطلاقا من الوقائع والأحداث؟**

1- دولة المدينة: الحدود، والسكان

إنّ قضايا من قبيل الحدود والسكان في الدولة الإسلامية في عهد الرسول صعبة، والبحث فيها يعاني من شحّ المعلومات، وغفلة المؤرخين...، وهو ما يجعل دقة الأخبار والتحليل في هذا المقام غاية علمية صعبة المنال. وبالرغم من هذه الصعوبات التي تشكّل عقبات كافية لتبرير الهروب والانصراف عن هذا الموضوع إلى غيره، فإنّنا سنحاول قدر المستطاع، الإتيان ببعض الأخبار والتقديرات والتصورات التي تسهل علينا تصور الدولة الإسلامية في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ الإسلام.

لقد بلغت الدولة الإسلامية أقصى امتدادها في السنوات الأخيرة من حكم الرسول (ص)، وخاصّة في السنة العاشرة من الهجرة التي تسمّى سنة الوفود؛ ففي هذا العام جاء رسول الله (ص) عدد من وفود العرب، من أطراف الجزيرة ومناطقها النائية، معلنة إسلامها وداخلة في دولته، ومن أشهر هذه القبائل: تميم، والأزد،

[1]- إن أكثر الكتب والدراسات التي خاضت في موضوع الدولة الإسلامية صدرت عن مفكرين وكتاب ليس لهم ما يكفي من المعرفة التاريخية، وركزوا بالأساس على قضايا نظرية وفلسفية وسياسية، الشيء الذي جعل الكثير من تمثلاتهم عن هذه الدولة في جذورها وأصلها التاريخي غير دقيقة وغامضة، ويكفي للتأكد من هذه الخاصية مراجعة بعض النصوص الرائجة في المجال الثقافي العربي، وخاصة ما كتبه بعض مفكري الحركة الإسلامية، ونظرائهم من دعاة الحداثة والعلمانية.

وعبد القيس؛ وكلّها من قبائل شرق الجزيرة، وقبائل بني زبيد، وكندة، ووفد ملوك حمير، وهي من قبائل جنوب الجزيرة... إلخ.[2]

ومن ثم، كانت دولة الرسول في حدود السنة العاشرة للهجرة وقبيل وفاته عليه السلام، تمتد من البحر الأحمر غربا، إلى مياه الخليج شرقا، حيث ديار عبد القيس وتميم ومملكة البحرين؛ ومن تبوك شمالا إلى اليمن جنوبا، ولم ينغص على المسلمين هذه الوحدة السياسية سوى خروج مسيلمة الكذاب في أهل اليمامة، والأسود العنسي في اليمن ما بين السنة العاشرة والحادية عشرة للهجرة.

أما فيما يتعلق بتعداد سكّان هذه الدولة، فإنّ جلّ المصادر التي بين أيدينا غفلت عنه، ولا تمدّنا بأية أرقام، وأقصى ما نجده في هذا السياق، أرقام الجيوش والعساكر، التي ذكرها الإخباريون على هامش اللقاءات الحربية، كعدد الداخلين إلى مكة مع رسول الله في الفتح، الذي قدر بعشرة آلاف،[3] وعدد المشاركين في بعض الغزوات الأخرى كغزوة حنين، التي نهض فيها مع رسول الله (ص) 12 ألف رجل، وسبي فيها 6 آلاف من النساء والأطفال؛[4] وغزوة الأحزاب التي فاق عدد المتحزبين فيها من المشركين 10 آلاف...،[5] وهذه الأرقام بغض النظر عن دقتها، والمبالغات التي اكتنفتها في أحيان كثيرة، لا تفيد في تكوين فكرة موضوعية عن عدد سكان دولة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن أي سعي لذلك، انطلاقا من هذه الأرقام، هو سعي محدود الفائدة، ونتائجه ضرب من الخيال.

لكن وبالرغم من هذه الصعوبات التي تحول دون معرفة دقيقة بعدد السكان في دولة الرسول؛ فالظاهر من خلال الأرقام التي وصلتنا، والتي تتعلق بقوام القبائل في الحروب وغيرها، أن عدد سكان شبه الجزيرة في هذه المرحلة كان محصورا في الآلاف، ولم يتعداها إلى الملايين.

2- رئاسة الدولة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم رئيس الدولة، والمسؤول عن كافة شؤونها، يمارس مهامه السياسية في أوضاع وظروف مختلفة، تخلو - تقريبا - من «التراتيب» (التقاليد) والتعقيد، فلم تكن إدارة الدولة - من هذه الناحية - تختلف كثيرا عن إدارة العائلة أو القبيلة؛ فرئيس الدولة كان يباشر مهامه في المنزل والطريق

[2]- حول مواطن بعض القبائل، انظر الخرائط في حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، منشورات الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط. 1/ 1987، ص. 57، 58. علي الصلابي، **السيرة النبوية**، ج. 2، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط. 3/ 2005، ص 766

[3]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص 156

[4]- ذكر الواقدي في المغازي حديثا لرسول الله، جاء فيه : خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف. (الواقدي، المغازي، ج. 3، م. س. ص 890)

[5]- الواقدي، المغازي، ج. 3، م. س. ص 444

والمسجد، وفي الحل والترحال، فحيثما عرضت له مشكلة أو قضية، تناولها وقرر بشأنها، دون تعقيدات أو إجراءات خاصة.

لكن وبالرغم من هذه البساطة البادية على رئاسة الدولة في هذه الفترة، والتي لا تقبل المماحكة، فإن الكثير من القرارات، وقضايا الحكم، واللقاءات السياسية، كانت تتم في المسجد[6] الذي كان المؤسسة العمومية الوحيدة في هذه الفترة، والتي يحق لكافة أفراد الجماعة ولوجها، وفي سائر الأوقات، وبها كانت تعقد اللقاءات والاستقبالات السياسية والدعوية، بما فيها استقبال أهل الديانات الأخرى، وخاصة المشركين، حيث كانت بمثابة مقر رئاسة الدولة. ومما يعزّز هذا المعنى في مفهوم المسجد، وجود أخبار كثيرة ومتواترة، دالة على دوره السياسي، من ذلك : وجود حظيرة به لحبس السبايا،[7] ونزول السفراء والوفود به، طلبا لمقابلة الرسول القائد... إلخ؛[8] فعلى سبيل المثال، عندما جاء وفد ثقيف النبي (ص)، وهم على كفرهم، استقبلهم في المسجد، وضرب عليهم قبة في أحد أنحائه - كما يزعم البعض - وجرت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم المفاوضة؛[9] وأيضا عندما وفد بنو تميم على رسول الله (ص) نزلوا بالمسجد، ونادوا الرسول من وراء الحجرات، وخرج إليهم، وخاض معهم في حاجتهم؛[10] ونفس الشيء تكرر مع وفد كندة،[11] كما أنّ رسول بني سَعْد ضمامَ بن ثعلبة جاء رسول الله وهو بالمسجد مع أصحابه، وأغلظ له في المسألة في أمور عقديّة مختلفة.[12]

ولم يقتصر دور المسجد في هذه الفترة كمؤسسة عمومية على ما هو سياسي وديني، بل تجاوزه إلى أدوار أخرى اجتماعية وترفيهية وتعليمية، فكان مدرسة مفتوحة لتعليم الصحابة القرآن والدين،[13] ومأوى الفقراء من الصحابة،[14] ويحتضن بعض الأنشطة الترفيهية من إنشاد ولعب... إلخ.[15]

وكان المسجد في هذا العهد يتكون من قاعة فسيحة للصلاة، وبعض المرافق الأخرى، **كالصُّفَّة**؛ وهي مكان مقتطع من المسجد، كان يأوي إليه الغرباء والفقراء من الصحابة، ويبيتون فيه؛[16] **وسدَّة**، وهي الظلال

---

[6]- كان بالمدينة أكثر من مسجد، وأشهر هذه المساجد التي بنيت في عهد الرسول مسجد قباء، غير أن أمور الدولة كانت تدار من المسجد الذي أسسه النبي (ص) الملاصق لداره.

[7]- نفسه، ص 187

[8]- قال جبير بن مطعم أنه أتى رسول الله (ص) في فداء بدر، قال ابن جعفر في فداء المشركين وما أسلم يومئذ، فدخلت المسجد ورسول الله يصلي المغرب... (مسند الإمام أحمد، أول مسند المدنيين، حديث جبير بن مطعم (16321)

[9]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1997، ص 180

[10]- نفسه، ص ص 188- 190

[11]- نفسه، ص 200

[12]- نفسه، ص 193

[13]- حدثنا أبو إسحاق قال: رأيت رجلا سأل الأسود بن يزيد وهو يعلم القرآن في المسجد.... (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات).

[14]- **صحيح البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل.

[15]- قالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي (ص) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم. (**صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة).

[16]- **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب نوم الرجال في المسجد.

المسقفة عند باب المسجد،[17] **وحظيرة** لحبس السبايا، بالإضافة إلى حجرة خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحتجر بها للصلاة وغيرها.[18]

وتبدو بساطة وتلقائية رئاسة الدولة الإسلامية في هذه الفترة بصورة أكثر وضوحا في طريقة اشتغالها، والأسلوب الذي كانت تتخذ به عدد من القرارات الإستراتيجية والحيوية كقرار الحرب في بدر، والخروج لملاقاة قريش في أحد، وإدارة معركة غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب... إلخ؛ ففي بدر، بعدما علم القائد/الرسول خروج قريش لملاقاته، وعزمها على حربه، وهو غير مستعد لذلك، استشار الناس في الأمر، فتحدث أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو، بالإضافة إلى الأنصار الذين تحدث نيابة عنهم سعد بن معاذ، وكلهم وافقوا على مواجهة قريش وحربها. ويظهر من تفاصيل الروايات المختلفة التي ذكرت تسلسل أحداث غزوة بدر الكبرى أن هذه الاستشارة كانت بسيطة في ظروفها، وشكل انعقادها.[19]

وفي السياق نفسه، عندما عزم رسول الله على الحرب، أمر جيشه بالتحرك، ونزَلَ موضعا لم يرق لأحد الصحابة، وهو الحُبَاب بن المنذر بن الجموح، فاعترض عليه قائلا: «يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؛ فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثمّ نعور ما سواه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فتملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله: لقد أشرت بالرأي».[20]

وفي غزوة أحد، كان النبي (ص) يميل إلى البقاء في المدينة، منتظرا جيش قريش، ومعه عبد الله بن أبيّ بن سلول وآخرين، غير أن جمهورا من الصحابة، أغلبهم من المهاجرين، كان لهم رأي آخر، ورأوا الخروج لملاقاة جيش قريش، فوافقهم رسول الله، واختار الخروج بالرغم من عدم اطمئنانه لهذا القرار، ذلك أنه بعدما سمع صلى الله عليه وسلم «بنزول المشركين من قريش وأتباعها أُحُدا، قال لأصحابه: أشيروا علي ما أصنع! فقالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى هذه الأكلب... وكان رسول الله يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة، فيقاتلوا في الأزقة».[21]

وفي غزوة الخندق، حاول النبي (ص) تفكيك تحالف الأحزاب، وفكّ حصارهم المحكم، ففاوض غطفان على أن يعطيها ثلث ثمار المدينة، على أن ترجع عنه، فجرى الصلح بينه وبينهم، وكُتب كتابه، لكن قبل

---

[17]- **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، حديث وما أعددت للساعة. وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب القضاء والفتيا في الطريق.

[18]- عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة مخصفة أو حصيرا، فخرج رسول الله يصلي فيها فتتبع إليه رجال وجاؤوا يصلون بصلاته... إلى آخر الحديث. (صحيح البخاري، كتاب الآداب).

[19]- نفسه، ص ص 25-26، 27

[20]- نفسه، ص 29

[21]- نفسه، ص 60

الإشهاد على هذا الاتفاق وتفعيله، بعث النبي إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، «فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله؛ أمر تحبه فنصنعه، أم شيء أمرك الله عز وجل به؛ لا بد لنا من عمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال : لا، بل لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم لأمر ما ساعة. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله : فأنت وذاك! فتناول سعد الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا علينا».[22]

ومن أهمّ الاختصاصات والمهام التي كان يمارسها رئيس الدولة في هذه الفترة قيادة الجيش، وبعث السرايا،[23] والحكم في الفيء وقسمته بين أهله، والقضاء والفصل في المنازعات،[24] وتعيين الأمراء والولاة،[25] وبعث السفراء والرسائل إلى رؤساء وملوك الأقوام الآخرين... إلخ.[26]

وإجمالا، كان النبي (ص) رئيس الدولة يمارس مهامه بأسلوب بسيط، منفتح على الشورى، وقابل للمراجعة، بحسب ما تقتضيه المصلحة، ولم تكن إلى جانبه هيأة شورى معيّنة،[27] أو مؤسّسات مساعدة.[28] وأقصى ما تذكره كتب السيرة والتاريخ في هذا الباب، وجود طائفة من الكتاب كانوا يكتبون له صلى الله عليه وسلم، ومن أشهرهم زيد بن ثابت الأنصاري، وعليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان...،[29] كما لم يكن لديه مكان خاص بإدارة الحكم والدولة، حيث كان يتصرف بحسب الأحوال والظروف في حله وترحاله.

وممّا يلاحظ في السنوات الأخيرة من حكم الرسول (ص)، ظهور إرهاصات أولية لما يمكن أن نسمّيه «بروتوكول» الدخول على الرئيس؛ فعندما قدم على النبي (ص) وفد ثقيف يفاوض على الإسلام، لقي في

---

[22]- نفسه، ص 94

[23]- كل الغزوات والسرايا التي تحدثت عنها كتب المغازي والسير تمت بأمر الرسول القائد، سواء شارك فيها أم لم يشارك، ولا نعلم حربا قامت بين المسلمين وأعدائهم دون علم الرسول (ص)، ودون إذنه.

[24]- كان الرسول (ص) القاضي الأول في الدولة، وقد نصت الصحيفة على هذا الأمر بوضوح، وسنفصل فيما سيأتي هذا الأمر.

[25]- كان النبي رئيس الدولة يعين ولاة وعمال الصدقات، وأمراء الحرب، وأمير الحج، وأمراء النواحي الداخلة في الإسلام... إلخ.

[26]- بعث النبي رئيس الدولة الكثير من الرسائل السياسية والدبلوماسية مع سفراء له إلى ملوك وقادة الدول المجاورة يدعوهم فيها للإسلام، سيأتي تفصيلها في الفقرات التالية.

[27]- ترد أسماء بعض الصحابة أكثر من غيرها في سيرة الرسول ومواقفه، فأغلب الاستشارات والآراء تنسب إليهم، وقد دفع هذا الأمر بعض الرواة إلى جعل هؤلاء حواريي الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أبرز هذه الأسماء: أبو بكر وعمر وعليّ وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وعثمان بن مضعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام. (محمد بن حبيب، المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 474)

[28]- يذكر خليفة بن الخياط في تاريخه أن النبي (ص) كان له حاجب وصاحب نفقات، وهو بلال وخازن، وهو معيقب بن أبي فاطمة وصاحب الخاتم والحرس، غير أن هذه المناصب لم تكن ثابتة ومستقرة، تعكس وعيا سياسيا مؤسساتيا، كما أننا لا نجدها بنفس الألفاظ في المصادر المتقدمة، مما يعزز الاعتقاد أنها من إنشاء المؤرخين المتأخرين... (خليفة بن الخياط، تاريخ خليفة، م. س. ص 99)

[29]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص. 218. محمد بن حبيب، المحبر، م. س. ص 377. خليفة بن الخياط، تاريخ خليفة، م. س. ص 99

أطراف المدينة أحد الصحابة، وهو المغيرة بن شعبة، الذي أسرع بالخبر إلى رسول الله (ص)، ثم عاد إلى الوفد معلما إياه كيف يحيي رسول الله، باعتباره رسولا من عند الله، ورئيسا أيضا،[30] كما اتخذ (ص) في هذه الفترة خاتما خاصا به، لختم رسائله السياسية، بعدما اقتنع بصواب ذلك،[31] وفي السياق نفسه ذكر خليفة بن الخياط أن أنسة مولى رسول الله كان حاجبه الذي يأذن في الدخول عليه، وأن عددا من الصحابة آخرين – سماهم - كانوا يقفون على بابه بمثابة الحرس أو الشرط.[32]

ويذكّر هذا الأسلوب في الحكم بعوائد العرب السياسية، وخاصّة أولئك الذين استوطنوا بطن الجزيرة، حيث الأراضي الفقيرة، وقلّة الماء؛ فـ «الدول» التي سادت بهذه الآفاق كانت أشبه برئاسة قبائل أو أحلاف منها بالممالك، التي كانت تسود أطراف الجزيرة الشمالية والجنوبية؛[33] فالنبي صلى الله عليه وسلم باعتباره رئيس دولة كان في طريقة حكمه وإدارته لشؤون دولته يماثل رئيس القبيلة أو رئيس حلف قبلي، ويكاد ينطبق الوصف والتعريف الذي وضعه الدكتور جواد علي لحكم سادات القبائل قبل الإسلام على دولة الرسول (ص)؛ فالحكم في القبائل مستمدّ «من رأي وجهاء القبائل وعقلائها وفرسانها وألسنتها... فهو حُكم «ملأ القبيلة»، وقد يكون بيت رئيس القبيلة، هو مجلسها وموضع حكمها، وإذا حدث حادث اجتمع عقلاء القوم في مجلس الرئيس وتباحثوا في الأمر»،[34] وهو الذي عوضه المسجد في الإسلام.

3- الجيش:

يعتبر الجيش من أهمّ المؤسسات السياسية والأمنية في الدولة، والضامن لاستقرارها واستمرارها، واعتبارا لهذه الأهمية، كان أولَ شيء اعتنى به الرسول بعد ظهوره بالمدينة، وحرص على تأهيله، وهو ما انعكس إيجابا على أمن الكيان السياسي الجديد واستقراره، واستمرار الدعوة الإسلامية.

لقد تكوّن جيش الرسول في البداية من المهاجرين فقط، وكان عددهم قليل يعدّ بالعشرات، ومعظم السرايا الأولى التي نفذها المسلمون بأمر الرسول كان وراءها المهاجرون دون غيرهم، كسرية حمزة بن عبد المطلب، التي أرسلها الرسول لاعتراض عير قريش، ولم يكن بين الطرفين قتال؛ وسرية عبيدة بن الحارث

---

[30]- نفسه، ص 180

[31]- عن أنس بن مالك قال: لما أراد النبي (ص) أن يكتب إلى الروم، قالوا إنهم لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فاتخذ النبي (ص) خاتما من فضة كأني أنظر إلى وبيضه، ونقشه محمد رسول الله. (رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة على الخط المختوم...، وهناك روايات أخرى لهذا الحديث في كتب أخرى من الصحيح). خليفة بن الخياط، تاريخ خليفة، م. س. ص 99

[32]- خليفة بن الخياط، تاريخ خليفة، ت. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط. 2/ 1985، ص 99

[33]- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج. 5، طبع بمساعدة جامعة بغداد، ط. 2/ 1993، ص 188

[34]- نفسه، ص 238

بن المطلب، التي ذهبت لملاقاة المشركين، وكان بينهم الرمي دون المسايفة؛ وسرية سعد بن أبي وقاص، التي خرجت – أيضا – لاعتراض عير قريش؛ وغزوة العُشَيْرة.[35]

غير أنّ بنية هذا الجيش لم تبق على هذه الحال مدة طويلة، وطرأ عليها تحوّل جوهري غداة غزوة بدر، وقد تمثل هذا التطور في بداية الأمر في التحاق حزب الأنصار بجيش المسلمين، وانخراطهم في حروب الرسول القائد،[36] وهو ما أدى إلى ارتفاع عدده. ومن ثم أمسى جيش المسلمين - بعد هذا التطور - يتكون من فئتين عظيمتين: فئة الأنصار، وهي الأكثر عددا، وفئة المهاجرين. ويذكر من اعتنى بخبر بدر أنّ عددَ الأنصار في هذه المعركة كان أزيد من مائتي رجل، بينما قدّر عدد المهاجرين بحوالي سبعين رجلا، أو يزيد بقليل.[37]

وبالإضافة إلى هذين المكونين، ضمّ جيش المسلمين في هذه المرحلة عددا من **حلفاء الأنصار والمهاجرين ومواليهم** من أنساب قبلية مختلفة، وقد ذكر الواقدي أسماء بعض من هؤلاء، فعلى سبيل المثال، شارك في بدر من بني هاشم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وإلى جانبهم أبو مَرْثَد كَنَّاز بن حُصين الغَنَوِيّ؛ ومرثد بن أبي مرثد، حليفان لحمزة؛ وأنسة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو كبشة مولى النبي صلى الله عليه وسلم.[38]

ولم يقف جيش المسلمين عند هذا الحد من التطوّر، بل تعزّزت صفوفه، وتنوعت مكوناته بالتحاق عدد من العناصر القبلية به، تبعا لتطور نفوذ الإسلام واتساعه. ومن الوقائع والأحداث التي أظهرت عظمة جيش الرسول (ص) واتساعه في دولة الرسول (ص) حادث فتح مكة؛ فقد أظهرت الروايات التي ساقها المؤرخون حول هذا الحدث عظمة جيش المسلمين وضخامته، حيث لم يعد كما كان في السابق مقتصرا على ألوية الأوس والخزرج والمهاجرين، بل انضافت إليه ألوية جديدة، ألوية الأعراب الداخلين في الإسلام حديثا أمثال أَسْلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وبنو سليم... إلخ.[39] وبلغ تعداد جنده، الذين شاركوا في الفتح حوالي عشرة آلاف.[40]

---

[35]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص ص 11- 12، 14

[36]- ذكر الواقدي في المغازي أن النبي (ص) بعث في سرية حمزة شطر من الأنصار إلى جانب المهاجرين، غير أن هذا الخبر غير مؤكد، وقد جاء في نفس الرواية عند الواقدي عن ابن المسيب وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، قالا: لم يبعث رسول الله (ص) أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بنفسه إلى بدر، وذلك أنه ظن أنهم لا ينصرونه إلا في الدار، وهو المثبت. (الواقدي، المغازي، ج. 1، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط. 3/ 1984، ص 10)

[37]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص 25

[38]- الواقدي، **المغازي**، ج. 1، م. س. ص ص 153-154- 172

[39]- الواقدي، **المغازي**، ج. 2، م. س. ص ص 799- 801. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص. 159. ابن هشام، **السيرة**، ج. 4، م. س. ص 44

[40]- نفسه، ص 801

أمّا فيما يتعلّق بشروط الانتساب للجيش والمشاركة في العمليّات العسكريّة، فلم يمنع رسول الله - وهو القائد العام للجيش - أحدا من القادرين على حمل السلاح من الجهاد والمشاركة في الغزو، بما في ذلك النساء، فقد جاء في خبر أحد أنّ أمُّ عمارة نُسيبة بنت كعب المازنية شاركت في الحرب، وقاتلت يوم أحد، وحامت على رسول الله (ص) بعد تفرق الرجال عنه،[41] كما شارك إلى جانبها نساء أخريات، كن يسقين العسكر.[42] وبلغ عدد النساء في هذه الغزوة بحسب بعض الروايات أربعَ عشرةَ امرأة،[43] كما شاركت النسوة –أيضا- في غزوة حنين، وأبلين فيها البلاء الحسن.[44]

أما بالنسبة للذكور، فقد شرط رسول الله (ص) على الراغبين منهم في الانتساب للجيش «البلوغ»، أو الخروج من طور الطفولة، ويدل على ذلك اعتراضه عليه السلام على خروج عدد من الأطفال في غزوتي بدر وأحد، بسبب صغر سنهم، وأن أحدهم ممن تحايل، وتفلّت، وقتل في بدر، لم يكن يتجاوز عمره ستَّ عشرة سنة،[45] ومعنى هذا أن الانتساب الشرعي لجيش الرسول (ص) كان يقتضي سنا أكبر من ستَّ عشرة سنة.

وكان جيش الرسول (ص) مقسما إلى مجموعة من الألوية حسب أنساب القبائل والمجموعات المقاتلة، كلواء المهاجرين ولواء الأنصار، وغيرها من القبائل التي كان يضمها الجيش،[46] فيهم المشاة من الرماة وأصحاب الرماح والسيوف، والفرسان. وكان حامل لواء كلّ فريق بمثابة قائد الفريق في القتال.[47] وكان إلى جانب ألوية (رايات) الفرق المشكلة للجيش، لواءًا أعظم، يمثل الجيش كله.[48] وأثناء الزحف للقتال، كان الجيش ينتظم في شكل صفوف متراصة، لها ميمنة وميسرة أو مجنبتان، وقلب أو ساقة.[49]

أمّا آلة الحرب، فكانت عبارة عن سيوف، وأقواس ونبال، ورماح،[50] وأحيانا يلجأ المقاتل إلى الرشق بالحجارة،[51] بالإضافة إلى الدروع، والتروس، والبيض على الرؤوس، ولم يكن جند الرسول قادرين على

---

[41]- ابن هشام، **السيرة**، ج. 3، م. س. ص. 45. الواقدي، المغازي، ج. 1، م. س. ص 272

[42]- الواقدي، **المغازي**، ج. 1، م. س. ص 269

[43]- نفسه، ج. 1، م. س. ص 314

[44]- نفسه، ج. 3، م. س. ص ص 902- 904

[45]- نفسه، ج. 1، م. س. ص ص 21، 216

[46]- نفسه، ج. 1، ص. 215

[47]- كان سعد بن عبادة حامل لواء في فتح مكة، وقائد إحدى الفرق، ولما وجه داخلا مكة، قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فخيف على قريش منه، وبلغ الرسول كلامه، فعُزل عن اللواء، وأخذت منه الراية وأعطيت لعليّ (ض). (ابن هشام، السيرة، ج. 4، م. س. ص. 48 الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج. 2، م. س. ص 159).

[48]- كان اللواء الأعظم في غزوة أحد بيد مصعب بن عمير رضي الله عنه. (الواقدي، المغازي، ج. 1، م. س. ص 225).

[49]- نفسه، ج. 1، م. س. ص. 225. ابن هشام، السيرة النبوية، ج. 2، م. س. ص 256

[50]- الواقدي، **المغازي**، ج. 1، م. س. ص 223

[51]- نفسه، ج. 1، م. س. ص 208

توفير كل ما يلزم من آلة الحرب، وخاصة الدرع، والترس، والبيضة (الخودة)،[52] وأغلبهم كان يقتصر على أحد هذه الآلات، أو اثنان منها : السيف أو الرمح أو القوس والنبال. أمّا الدروع والتروس والبيض، فكانت لأهل اليسر منهم فقط، ويدل على الخصاص في آلة الحرب لدى جيش الرسول (ص)، استعارته عليه السلام مائة درع بأداتها كاملة من صفوان بن أمية، في غزوة حنين، وكان لا زال على شركه.[53]

أمّا جهاز الجند وزاده، فكان أمرا خاصا، حيث كان كل محارب يتزود، ويصحب معه ما يكفي من المؤونة خلال مدة الحرب؛[54] ومما يلاحظ في هذا السياق تفاوت أرزاق الجند وزادهم بحسب درجات اليسر، ووسع كلّ منهم. وأغلب غذاء الجند الذي كان يصحبونه معهم التمر، والدقيق...، ففي غزوة تبوك، أمر الرسول (ص) صحابته والأعراب بالجهاز والاستعداد للخروج، وعجز كثير منهم على توفير جهازه، فرغب عليه السلام في الصدقات، فبادرت إلى ذلك طائفة حسنة من كبار الصحابة كأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف... إلخ.[55]

4- القضاء:

يعتبر القضاء من الوظائف الحيويّة التي اختص بها الرسول (ص) رئيس الدولة، وخصّه بها عهد الصحيفة بنص لا لبس فيه،[56] وأمره به القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى: **(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)**[57]. واستنادا إلى هذه التكليفات السياسية والشرعية كان رسول الله يجلس للحكم والقضاء بين الناس في قضايا مختلفة، وقد ذكرت كتب السيرة والقضاء عددا من أحكام الرسول، التي أمست فيما بعد منوالا للحكام من بعده.

ولم يكن رسول الله وحده في مجال القضاء، بل ساعده عدد من الصحابة المعروفين بالنباهة، أمثال عمر بن الخطاب، وعليّ، وزيد، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل... إلخ، فقد ثبت عن الرسول (ص) تكليفه

---

[52]- نفسه، ج. 1، م. س. ص ص 208- 215، 219

[53]- نفسه، ج. 3، م. س. ص 890

[54]- دخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تجهز رسول الله للخروج إلى مكة. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج. 4، م. س. ص 38).

[55]- ذكر الواقدي تفاصيل وافية عن جهاز جيش المسلمين في غزوة مؤتة، تبين بوضوح عادة هذا الزمان في الخروج والجهاز. (الواقدي، **المغازي**، ج. 3، م. س. ص ص 990- 991. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، 181-183).

[56]- جاء في الصحيفة: وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله. (ابن هشام، السيرة، ج. 2، م. س. ص 145)

[57]- المائدة، 51

بعض الصحابة بالنظر في بعض الدعاوى في حضرته،[58] وبعيدا عنه في الأقاليم المفتوحة حديثا كاليمن ومكة، والبحرين... إلخ.[59]

والجدير بالذكر في هذا السياق، أن الولاة الذين كان يعينهم رسول الله أمراء على البلدان بعد فتحها، كان من اختصاصهم النظر في القضايا والفصل في المنازعات، فلم يكن القضاء في هذا العهد مفصولا عن الإمارة، بل كان جزءا منها.[60]

ومما تميّز به القضاء في هذا العهد – أيضا – عدم استقلاله بمجلس خاص به، أو دار للنظر في الدعاوى وما إلى ذلك، وكانت تعقد مجالسه حيثما اتفق في الطريق، والمسجد، والبيت وغيرها من المواضع، وقد دلّت الأخبار على جلوس الرسول للحكم في مواضع مختلفة.[61]

5– الوظيفة العموميّة:

لقد هيّأت دولة الرسول (ص) الأسباب لظهور مفهوم الوظيفة العمومية، والموظف العمومي الذي يقوم بأعمال لصالح الجماعة، وينهض بمصالحها، مقابل أجر شهري أو سنوي؛ فقد فرضت الأوضاع الجديدة للدولة الإسلامية زمان الرسول (ص)، والمهام الجسيمة الملقاة على عاتق رئيسها توظيف عدد من الصحابة، وإلزامهم بأعمال معينة، وإذا كان هؤلاء الصحابة في بداية الأمر، قاموا بهذه الأعمال في سبيل الله وبغية الأجر، ومرضاة الله ورسوله، فإن هذا الأسلوب لم يستمر طويلا، حيث بادر الرسول (ص) إلى وضع أجر مادي للموظف مقابل العمل الذي يؤديه للجماعة.

ومن أشهر الأعمال التي كان يؤجّر أصحابها في هذه الفترة، الولاية على الصدقات والجزية، حيث كان أصحابها يأخذون أجرهم منها، وقد نزل القرآن مبيّنا هذا الأمر في آية الصدقات، قال تعالى: **(إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله فريضة من الله والله عليم حكيم)**.[62]

أمّا الولايات الأخرى، وخاصّة الولاية على البلدان، فقد ورد في الأخبار أنّ النبي (ص) حدّد لأصحابها رزقا أو أجرا في آخر حكمه؛ فقد روى ابن هشام في السيرة أن النبي (ص) لما استعمل عتّاب بن أُسَيْد على

---

[58]- وهبة الزحيلي، **تاريخ القضاء في الإسلام**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط. 1/ 1995، ص 47

[59]- نفسه، م. س. ص ص 43- 46

[60]- وكيع، **القضاء**، مراجعة سعيد محمد اللحام، عالم الكتب.... ص ص 62- 71. وهبة الزحيلي، **تاريخ القضاء**، م. س. ص ص 44- 45

[61]- **صحيح البخاري**، حديث: 6746. وهبة الزحيلي، **تاريخ القضاء**، م. س. ص 58

[62]- التوبة، 60

مكة، رزقه كل يوم درهما، «فخطب الناس، فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله (ص) درهما كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد»،[63] ويمكن أن يستشفّ من هذا، أنّ الولاة قبل هذا الجَعل كانوا يُمَوَلون من الجماعة أو أهل اليسر فيها، وفي حديث آخر رواه البخاري عن عمر (ض) قال: «كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء، فأقول أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر مني، فقال النبي (ص): خذه فتموله، وتصدق به»،[64] وقد أتى البخاري بهذا الحديث تحت عنوان النبي (ص) يؤجر عماله.

6- الولايات:

لقد استعان الرسول (ص) في دولته وحكمه بعدد من الولاة والعمّال للقيام بالوظائف السياسية للدولة،[65] ومما يلاحظ في هذا السياق، أن هذه الولايات تطورت ونمت تبعا لتطور الدولة واتساع رقعتها، وتزايد متطلباتها؛ ففي بداية حكم الرسول (ص) لم تكن حاجة إلى الولاة والعمال، وأقصى ما نجده بعض أمراء الحرب، الذين كانوا يقودون السرايا، وقطاعات من الجيش.

وأوّل ما ظهرت الولاية في زمان الرسول (ص)، كانت في صورة استخلاف، فحين خروجه عليه السلام للغزو، كان يستخلف على المدينة أحد الصحابة، فعلى سبيل المثال استخلف الرسول (ص) سعد بن عبادة، أو سعد بن معاذ حسب رواية أخرى، بعد خروجه إلى غزوة الأبواء،[66] واستخلف سِبَاع بن عُرْفُطَة بعد خروجه إلى غزوة تبوك،[67] وكانت مهمة هؤلاء الولاة أو الخلفاء لا تتعدى إقامة الصلاة، والنظر فيما قد يحصل من خلاف بين المسلمين داخل المدينة في غيبة الرسول (ص).[68]

لكن ومع اتساع الدولة الإسلامية، ودخول قبائل وأنحاء جديدة في الإسلام، أخذ الرسول (ص) في تعيين عدد من الولاة والعمال على الأقاليم المفتوحة، لينهضوا بتعليم الناس الإسلام، ويحكمون بينهم، ويجمعون صدقاتهم... إلخ. وقد فصَّل رسول الله مهام هؤلاء الأمراء في أكثر من رسالة ووصية، ومن ذلك على سبيل

---

[63]- ابن هشام، **السيرة**، ج. 4، م. س. ص 139

[64]- رواه البخاري، **كتاب الأحكام**، باب رزق الحكام والعاملين عليها، حديث: 6744

[65]- من الملاحظات التي نلاحظها خلال النصوص التي تتحدث عن الولاية والولاة في الإسلام، استخدام ألفاظ متباينة للتعبير عن هذه الحقيقة، فأحيانا يُستخدم لفظ الأمير، وأحيانا أخرى يستخدم لفظ الوالي أو الخليفة، ومهما تكن الفروق بين هذه الألفاظ من الناحية اللغوية فإن استخداماتها المختلفة تدل على معنى الترادف بينها.

[66]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص 14

[67]- نفسه، ج. 2، م. س. ص 183

[68]- ابن هشام، **السيرة**، ج. 2، م. س. ص 255

المثال، ما جاء في كتابه لعَمْرو بن حزم الأنصاري، حين عهد له بالإمارة على بني الحارث بنجران في السنة العاشرة للهجرة،[69] ووصيته معاذا بن جبل حين أرسله إلى اليمن.[70]

ويمكن القول، إنّ أهمّ تطوّر عرفته الولاية في عهد الرسول (ص)، حصل بعد فرض الزكاة أو الصدقات على المسلمين والجزية على غيرهم من مشركي أهل الكتاب (9هـ)، حيث أمسى تحصيل الزكوات والجزية ووضعها في مستحقيها، ورفع ما تبقّى منها إلى دار الإمارة بالمدينة من الاختصاصات الحيوية للولاة، ومدعاة لتعيين عدد كبير منهم؛ ومن ثم، وبالتزامن مع هذا التطور، ارتفع عدد العمال في دولة الرسول، واستُعمِل عدد من الصحابة ولاة وعمالا على الصدقات بمناطق مختلفة من شبه الجزيرة، أمثال المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة على صنعاء، وزياد بن لبيد على حضرموت، العلاء بن الحضرمي على البحرين، وعليّ بن أبي طالب على نجران... إلخ.[71]

ومن الولايات الأخرى التي عرفت في هذه الدولة، الولاية على الحاج؛ فقد كان الرسول (ص) في حال عدم خروجه للحج، يعين أميرا على الموسم، وممن شرف بهذا المنصب أبو بكر الصديق، فقد استخلفه رسول الله على مكة في السنة الثامنة للهجرة، «وأمره أن يقيم للناس الحج، ويعلم الناس الإسلام، وأمره أن يؤمن من حج من الناس».[72]

وعموما، إنّ الولاة والعمّال على عهد الرسول، كانوا قادة سياسيين، يقومون بمهام مختلفة، دينية ودعوية، وقضائية، وسياسية، وعسكرية، مثل تعليم الناس القرآن، وإرشادهم إلى الخير، والفصل بينهم، وجمع الصدقات، وخوض المعارك والحروب... إلخ، ولا نستطيع حصر عدد ولاة الرسول وعماله، أو تحديد وظائفهم بدقة علمية، نظرا لتداخل هذه الوظائف مع بعضها، وقلة عناية الإخباريين بتفاصيلها، غير أن المؤكد في هذا السياق أن الرسول (ص) لم يعد الفاعل السياسي الوحيد في المشهد السياسي، المستقل بالتدبير، بل أمسى يشاركه عدد من صحابته ولاة وعمالا على مناطق مختلفة، وبمهام متعددة.

7- العلاقات الخارجية:

لقد أدى اتساع الدولة الإسلامية، ودخول معظم عرب بطن الجزيرة تحت نفوذها، وخاصة بعد فتح مكة (8هـ)، إلى احتكاكها بالكيانات السياسية المجاورة، وخاصة تلك الواقعة على أطراف الجزيرة، ودخلت في علاقات سياسية مختلفة مع حكام هذه الدول والممالك، تأرجحت بين السلم والحرب.

---

[69]- الطبري، ج. 2، م. س. ص 195
[70]- ابن هشام، **السيرة**، ج. 4، م. س. ص 233
[71]- الطبري، ج. 2، م. س. ص 204
[72]- نفسه، ج. 2، م. س. ص ص 171- 172

إنّ العلاقات الخارجية التي نسجتها الدولة الإسلامية في عهد الرسول، مع مختلف الكيانات السياسية التي عاصرتها، تحكمت فيها مصلحة الدعوة الإسلامية في المقام الأول، فلم يكن للرسول وجماعته في هذا العهد هم أو مصلحة خارجية تفوق ما يقتضيه انتشار الإسلام، وظهوره بين الناس؛ وتجلى هذا الأمر بوضوح في فحوى السفارات المختلفة التي بعثها الرسول (ص) للملوك والحكام في عصره، أو التي استقبلها.

لقد عرفت الدبلوماسية الإسلاميّة نهضة استثنائية بعد صلح الحديبية في السنة 6هـ، حيث بعث الرسول (ص) عددا من صحابته سفراء لمعظم ملوك وزعماء عصره الذين جاوروه، وكانوا بالقرب منه، فقد بعث سليط بن عمرو إلى صاحب اليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى صاحب البحرين، وعمرو بن العاص إلى صاحبي عُمان، وحاطب بن بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ودحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم، وعمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي، وأرسل عبد الله بن حُذافة السهمي إلى كسرى عظيم الفرس.[73] وكانت الرسالة الأساسية التي حملها هؤلاء السفراء إلى الزعماء، مهما اختلفت صياغتها «أسلم، تسلم».[74]

إن ردود الفعل على دعوة الرسول (ص) وسفارته، لم تكن واحدة، بل اختلفت من عاصمة إلى أخرى؛ ففي الوقت الذي رفضها كل من كسرى وهرقل، وتعاملا معها بكبرياء،[75] فإن الزعماء الآخرين رحبوا بها، ودخلوا فيها بيسر، وخاصة الزعماء العرب المبثوثين في أطراف الجزيرة؛ وعلى رأس الزعماء المرحبين، ملوك عمان، والبحرين، وحمير، والنجاشي ملك الحبشة.[76]

ومن ناحية أخرى، لم تستطع الدولة الإسلامية خلال فترة حكم الرسول، الحفاظ على علاقاتها الدبلوماسية السلمية مع جيرانها، بل اتخذت هذه العلاقات في بعض الأحيان طابعا عنيفا وعسكريا، ومن أبرز الأمثلة التي تحضرنا في هذا السياق غزوة مؤتة التي لاقى فيها المسلمون جيش الروم، وهُزموا فيها هزيمة قاسية، وقتل فيها جملة من خيرة الصحابة،[77] وغزوة تبوك التي خرج فيها الرسول (ص)، وناوش فيها أطراف بلاد الروم، من خلال كتيبة خالد بن الوليد، ولم يلق فيها عدوه لقاءً مباشرا، وعاد إلى المدينة سالما.[78]

---

[73]- الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج. 2، م. س. ص ص 128-131، 132
[74]- نفسه، ج. 2، م. س. ص ص 130-132، 145
[75]- نفسه، ج. 2، م. س. ص ص 131- 133
[76]- نفسه، ج. 2، م. س. ص. 145، 191
[77]- نفسه، ج. 2، م. س. ص ص 149- 152
[78]- نفسه، ج. 2، م. س. ص 181

خاتمة:

إن دولة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد هذا التعريف المؤسساتي الطويل نسبيا، لم تكن دولة دينية كهنوتية كما يتصوّرها البعض، دولة قائمة على التسليم المطلق للنبي الحاكم، والقيادة الإلهية للجماعة السياسية العربية، بل كانت دولة تاريخية خرجت من رحم الظروف السياسية لبطن الجزيرة العربية، واستعانت بثقافتها السياسية، وانسجمت مع بنياتها الاجتماعية، وعانت مما عانت منه نظيراتها في أنحاء العالم، فذاقت النصر والهزيمة، وعرفت الخيانة والبطولة، وعانت من الخلاف... إلخ.

فجلّ المؤسسات التي جسدت كيان الدولة الإسلامية في عهد الرسول (ص) كانت مؤسسات سياسية تاريخية، أملاها تفاعل الأحداث وحاجيات الواقع، ولم تكن - أبدا - مقتضى من مقتضيات النص؛ ومن ثمّ، فقد استثمرت في انبنائها وتطورها معطيات البيئة السياسية، والخبرة السياسية لعرب الجزيرة، بالإضافة إلى استعدادها للأخذ من الآخر والإفادة منه، كما تظهر ذلك بعض الأمثلة كاتخاذ الخندق في غزوة الأحزاب، وختم المراسلات... إلخ.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق – ودائما – ، ما الدور الذي أسهم به الدين في بناء هذه الدولة وقيادتها؟

لقد أسهم الإسلام بدور فعال في بناء دولة الرسول؛ ويمكن القول - باطمئنان كبير- لولاه ما استطاع عرب بطن الجزيرة بناء دولة في هذه الفترة التاريخية. لقد منح الدين الجديد للجماعة العربية المنقسمة على نفسها هوية مشتركة، شكّلت أساسا جديدا وتقدميا للانتماء للجماعة، روحيا وعاطفيا، يفوق في حرارته الانتماء القبلي، فدخول الإسلام في هذا السياق كان يعني من الناحية السياسية تحررا وتحلّلا من الرابطة السياسية القبلية، والدخول في رابطة جماعة جديدة فوق- قبلية، هي رابطة الإسلام، والجماعة الإسلامية، ومن ثم، فقد وضعت هذه الهوية (الإسلام) الأساس السوسيوسياسي لبناء الدولة.

ومن ناحية أخرى، مكنت القيم الأخلاقية الرئيسة التي جاء الإسلام مبشرا بها وداعيا لها، وبعض التشريعات المتعلقة بشؤون الحياة المختلفة، الدولة الإسلامية من مرجعية تشريعية إنسانية، أكثر إغراءا من المرجعيات المنافسة، وجعلتها أكثر حداثة من منافساتها إقليميا وعالميا في القرن 7م.

وهكذا، فجانب من التفكير السياسي الذي نشأ في دار الإسلام في هذه الفترة المبكّرة من تاريخ الدولة الإسلامية، ارتبط بقضايا المؤسّسات، والرغبة في تحسين أدائها وتطويرها، وأيضا ارتبط بتطوير أدائها التشريعي في علاقته بالتطوّر الاجتماعي والثقافي والسياسي، الذي عرفه الاجتماع الإسلامي بعد وفاة الرسول في السنة 11هـ.

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com